



في أعصاب الأمم الإسلامية ، حتى صار الدواء لها باطلاً أو كالباطل ، وذلك لغلبة الجهل علينا ، وفي الجهل المناد ، وفي المناد المكابرة ، وفي المكابرة اللجاجة ، واللجاجة أم ولود كل أبنائها أباطيل ، ومن طلب علاج الأباطيل وترك أمهاتها تلبد ، فقد جعل علاجه باطل الأباطيل وهذه الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية قد خضعت

- من قرون طويلة لسيطرة الجهل وبغيه ، وامتدت عليها عقب طويلة أظلمت بالثغلة والنسيان والموت ، وحجبت دونها شمس المعرفة ونور العلم ، حتى انحنت على أساطير التراب تجد فيها كل معاني الفكر والعقل والقوة ، وصار همها الأرض وما تنتج مما يكفى شهوات النفوس المستغلة بالذلة ، أو يرد مسغبة النفوس المحططة بالعمل . ثم جاءت الذئاب الذكية العاقلة المدبرة ، فمرفت سيدها وقالت له : اعمل عملك ، فهذا طريقك ، ولكنك خشيت أن تمزق الظلل وتسقط الحجب ، وتب تلك القوة للملوية الرابضة في دم الإنسان ، فتري أشواقها فتندفع إليها اندفاع الوحش المجوع في مهربى الريح التي تحمل أنفاس فريسته ، وعندئذ تمزق الحيلة في دفع هذه القوة وردّها إلى ما كانت عليه تحت أطباق الخمر والحمود والثغلة . وعمل ذكاه الذئاب عمله ، ورأى أن قمع القوة للملوية بالاستبداد والفجور في الاستبداد هو الشر عين الشر ، وأنه كقمع البخار في قنقم الحديد ومن تحمها جاحم من النار يتضرر ، فما يقب إلا الانفجار والتصديع والأذى . فتنبهوا عن ذلك إلى نصريف هذه القوة للملوية حين تستيقظ في هذا الشرق تصريقاً يكفل لهم معها أمرين :

- الأول التنفيس عن هذه القوة ، واتخذوا لذلك أربع الأساليب ، فحاولوا أن يظهروا وكأنهم هم الذين يعملون على إزالة غشاوة الجهل عن الميرون المحجبة ، فأنشأوا المدارس وتلبسوا بالانصيحة للتعليم في معاهده كلها ، وجعلوا خلال ذلك يضمنون ويقررون أصولاً تؤدي بهم إلى أغراضهم ، ليسيروا بالتعليم إلى حالة رضيم وتنفعهم ، فلا يخرجون من هذه المهاد جيلاً يقف أمامهم كما تقف القوة للقوة وكما يناهض العقل العقل ؛ ثم زاحم في إنشاء الحضارة بالقوة للعامة والفكر البدع والأمر للثاني : وهو بناء على ذلك البناء ، وذلك اجتهادهم

الربيع

أَيَّامُهُ كَالنَّعِيمِ ، نَفَرَهَا
زَهْرُ نَوَائِمٍ فِي نَفْسَانِهَا
تَمَشَّى بِأَنْفَاسٍ مُنْطَرَّةٍ
تَلَسَّابُ فِي الصَّبَوَاتِ عَائِدَةٍ
وَتَدْبُ فِي الْأَرْوَاحِ نَشْوَاهَا
عِطْرُ الْحَبِيبِ عَلَى لَسَانِهَا
تُذِنِي إِلَيْهِ خَيَالٌ مُتَمَتِّعٍ
وَتُرِيحُ أَشْوَاقًا مُسَدَّبَةً
تَرَفُّ الصَّبَا وَعَصَارَةُ الْحَبِّ
سِحْرُ الْحَيَاةِ وَفِتْنَةُ الْقَلْبِ
تَحْيَى بِرِيَّا الْحَبِّ أَوْ تَسْبَى
عَبَثَ الدَّلَالِ بِرَفَةِ الْعُشْبِ
هَمَّانَةٌ ، فَتَحَاتُهَا تُصْبَى
يُذَكِّي غَرَامَ الْهَامِ أَنْصَبَ
بِالْأَلِّ ، مُتَبَمِّدٌ قَى الْقُرْبِ
ظَنَى ، بَلْدَةً مَبْهَلٍ عَدْبِ

هَذَا رَيْعُ النَّاسِ ، وَاحْزَنِي ،
أَغْصَى شَبَابِي فِي مَلَاوِنِهِ
وَدَلَّتْ بِالْأَيَّامِ مُنْشِدًا
أُمْنِي بِأَفْكَارٍ مُخَيَّرَةٍ
هَذَا شَبَابِي ، سَاوَرُ أَبَدًا
أَحْيَا الشَّبَابَ رَيْعُ حُبِّهِمْ
وَرَيْعِي الْأَشْوَكَ فِي قَلْبِي
كَالشَّيْخِ تَحْتَ عَمَائِمِ الشَّيْبِ
مُحَلَّنَا خَطْبًا عَلَى خَطْبِ
بِالشُّوقِ آوَنَةٌ وَبِالرَّغْبِ
بِرَيْعِهِ فِي مُقْفَرٍ جَدْبِ
- نَعْمُوا بِهِ - وَأَمَّا أَنِي حُبِّي
« شَاكِر »

الرأي العام

كتب الأستاذ « الزيات » في المدين الماضيين من الرسالة كلمتين جليلتين ، إحداهما عن « التبشير » والأخرى عن « فقهاء بيزنطة » : أي فقهاؤنا وعلماؤنا . وهما نزعان جميعاً إلى بيان أصل واحد ، وهذا الأصل هو غفلتنا وإيماننا ، ثم غشاة آرائنا وضاللتها ؛ وهذه مردتها إلى عقل كثيرة قد توغل داؤها

— بكل أساليب التنبيه والدعاية والمثال وغير ذلك — في توجيه الرأي العام في نواح بمبها إلى المصيبة الفردية والإجماعية ، ثم صرف هذا الرأي العام — أي أهله — عن الاهتمام بتقرير الأصول العامة التي تسير عليها الحياة الخلقية والعقلية والإنشائية والعملية ؛ وعن العمل في توحيد الرأي العام للشعب توحيداً يكفل للأمة أن تستغل كل قواها في تدبير المستقبل على نظام ثابت مستقر ماض على أسبابه إلى النهاية غير مختلف ولا متناذر

وقد كان من نتائج هذين الأمرين العظيمين — حين استيقظنا وأبصرنا — أن تمددت الثقافات في الشعب الواحد ، وتناذرت العقول على المعنى الصحيح ، واختلفت المناهج المفضية إلى النايات ، وعاون ذلك ما وورثناه من الجهل الداعي إلى التعناد والكبرياء واللجاجة ؛ فاستترى داء المصيبة وأصبح العمل عندنا لا يكون عملاً حتى يحاول أن ينقُص كل ما سبقه من العمل ، وتماقت على الأمة أطوار بعد أطوار ولا تزال في عهد الإنشاء ، ولا تزال اللجان تجتمع عاماً بعد عام لتقرر وتضع ، وليس إلا للتقرير والوضع وحضانة الذكرات ! !

وكذلك اختلف نظام الرأي العام ، وهو لا يكون إلا من اشتراك الجماعة في الأصول الثقافية كلها ، واختلف أيضاً تكوين الرأي العام ، وهو الصحافة وما ينزل في ذلك منزلها ، فتكون من الصحف المختلفة المبادئ آراء متخالفة ، لا بل متباعدة ، لا بل متعادية ؛ كلا بل هي في الواقع لا تمس جوهر حياة الشعب للعامل المسهل في الزراعة والصناعة والجهل أيضاً ... وحتى لا نجد صحيفة واحدة قد كتبت دعوتها على أصول رتيقة موائمة لحاجة هذا الشعب ، وعلى هذه الأصول تأخذ وتدع ، وتحمّد وتنقد ، وتهدم وتبني ، على تعاقب السنين وتغير الظروف والأحوال

التبشير

وأحد الأمور التي ابْتُغِيَ بها العمل على إضمار الشعب وللتفريق بين أهله ، وإيجاد ضروب من الثقافات في بلد واحد يجب وجوباً قطعياً — كما يقولون — أن تتوحد ثقافته — هو ما اتخذوه من التبشير ومدارسه المختلفة ، وما يبطن أصحابها وما يظهرون . وليس للتبشير هو الدعوة للصريحة إلى الدين المسيحي ، فإن هذا لا يمكن أن يكون في بلد جل أهله من المسلمين ،

وخروج المسلم من دين الإسلام إلى دين غيره يكاد يكون مستحيلاً في العامة من الشعب ، ويكاد لا يصح عند التلمين وأشباه التلمين . وهذه حقيقة يعرفها المبشرون قبل أن يعرفها السلحون ، وإذن فليس الفرض من التبشير هو المفهوم من لفظه ، ولكنه الذي أشار إليه الأستاذ « الزيات » في مقاله ، ثم إيجاد ضرب من الثقافات الأدبية والخلقية والعقلية يناقض ضرورياً أخرى من الثقافات المختلفة في مدارس الأجانب والمدارس الوطنية ، وبذلك تمتد المناهج الفكرية في حياة الشعب ، ويسر بعد ذلك أن تتحد هذه الثقافات على رأي عام يقوم عليه للشعب ويحرص على تنفيذه ، وبأخذ في الإعداد للوصول إليه درجة بعد درجة . وكذلك يبقى الشعب إلى النهاية وهو في بدء لا ينتهي وفي اختلاف لا ينقُص ، بل يصير ولا بد إلى العادة والمناظرة والأحقاد التي تؤثرها السياسة الاجتماعية الخفية التي طنت على الشرق من قبيل حضارة قوية باهرة عظيمة كالحضارة الأوربية

ولا يزال أهل الشرق مختلفين ما بقيت هذه الثقافات المتعددة من مدارس التبشير إلى المدارس الإلزامية ، تعد الرأي العام بأصحاب الآراء المختلفة وللعقول المتباينة . ولن يصلح أمر هذا الشعب حتى يتأهض ذلك كله بانصرافه إلى مدارس ابتغاء توحيد ثقافته على أصل واحد . والأصل الضعيف الموحد في ثقافة الشعب خير وأنفع من الأصول المتعددة القوية ، لأن هذه تنرى بالفرقة والعداء ، وذلك يؤلف ويوفق ويضم أشتاتاً ويقم القلوب على الإخلاص والتفاهم

فقرها، بيرزطة

وهذا مثل جيد ضربه الأستاذ الزيات لاختلاف عامة المسلمين على بعض أحكام الفقه الإسلامي والسنة النبوية ، وبني بعضهم على بعض في ذلك ، وتركهم الأصول الإسلامية التي ترفع المسلم إنسانية فوق إنسانية ، وتخلصه من الجهل والضعف والفساد والذلة . وكيف يختلف علماء المسلمين على فروع من دينهم ويدعون الأصل لا ينفذ نوره إلى قلوب هذه الملايين من المسلمين ، فيظهر أدرانها ويزيل غشاوة العمى التي ضربت عليهم أسداها .

وضرب الله مثلاً فقال : « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من اللطيات ، وفضلناهم على العالمين .

وآتيناهم بينات من الأمر ، فاحتفظوا إلا من بعد ما جاءهم العلم
بنيك بينهم إن ربك يقضى بينهم برم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين
لا يعملون .

فقد بين الله سبحانه أن اختلاف من سبقنا لم يكن إلا بشيء
من بعد أن جاءهم العلم ، وأنه جعل المسلمين على شريعة من الأمر .
وحق ذلك ألا يقع الاختلاف بين المسلمين إلا في رأي لا يقضى
إلى فرقة ، وعلى ذلك كان السلف من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتبعوا قوله : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » ، وقد
نعى عن الجدل والمراء وتناهى أصحابه عنه حتى قال ابن عمر :
« لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو مُحَيِّق »
ونحن قد صرنا الآن إلى زمن قد غلبت فيه بدع كثيرة ليست
من الدين ولا تنزع إليه ، ولكنها من محدثات الأمم وفتن الأهواء .
ونحن أيضاً في زمان ضعف وقلة وتفرق ، والأمم من حولنا تنبأى
على أنفسها وعلينا ، فما يكون اختلافنا على البدع والمحدثات وبنى
بعضنا على بعض ، ومصير ذلك كله إلى العداوة والبغضاء وأن يكفر
بعضنا بعضاً — إلا إغاثة لهؤلاء على النيل منا ما شاءوا . ثم نحن
في زمان جهل بالدين ، فليس من أمر الله أن ندع أصل الدين
مجهولاً ، وننصرف إلى فروع نحاول على إبطالها أو تحقيقها

وقد روى البخارى : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه » ، فإذا
كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسم أصل
الخلاف بترك مجلس الخلاف في القرآن وهو أصل الإسلام كله ،
فأولى أن تقوم عن مجلس الخلاف في فروع وسنن ، لئلا يقضى
ذلك إلى مثل الذى نراه بيننا اليوم من التعاند على بعض السنن
بالعداوة ، حتى صار لكل صاحب رأي فريق يحاى دونه ويعادى
عليه ، ثم يقع بعضهم فيما هو أشد نكراً من أصل الخلاف ،
ألا وهي النية والتفريق بين المسلمين

سياسة الإسلام

والإسلام في بنائه قائم على مصلحة الجماعة ، وجعل المسلمين
بدأ على من سواهم ، وأن يكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وهذه
مصلحة مقدمة على كل المصالح الأخرى ، وهى مقدمة على فروع
الفقه الإسلامى ، كما قدم الجهاد في سبيل الله على كل عمل من
أعمال الإسلام

أصبحت
الاستبانات
وكتاب
الاستبانات الصحيح
رسم الكتب الرشد ، كتاب الفقه لأبى بكر
رسم الكتب العربية المشرفة